كيف نحيي ذكرى

عاشوراء؟!!

بقلم/ أ. طه هادي أحمد

رابطة علماء اليمن

كيف نحيي ذكرى عاشوراء؟

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله النبي الكريم وعلى آله الطيبين الطاهرين ورضي الله عن أصحابه المنتجبين، وبعد:

تمر ذكرى استشهاد الإمام الحسين (ع) سنوياً في يوم عاشوراء اليوم العاشر من شهر محرم الحرام، الذي قُتل فيه بطريقة وحشية ولاإنسانية سنة ٦١ هجرية على أرض كربلاء بالعراق.

يحيي هذه الذكرى عشرات الملايين من المسلمين سنوياً فيما يعترض عليها آخرون من حيث المبدأ أو من حيث طريقة إحيائها أو من حيث ارتباطها بالواقع المعاصر أو من حيث امتدادها عبر التاريخ.

ونحن في هذا المنشور المتواضع سنجيب على سؤال كيف نحيي ذكرى عاشوراء ويتلخص الجواب في سبع نقاط رئيسية هي:

النقطة الأولى: تصحيح النظرة إلى عاشوراء.

النقطة الثانية: نقد الأخطاء والتجاوزات التي تترافق مع إحياء عاشوراء.

النقطة الثالثة: تناول ما حدث في عاشوراء باستلهام الدروس والعبر.

النقطة الرابعة: توضيح خلفية الاعتراض على إحياء عاشوراء.

النقطة الخامسة: ربط عاشوراء بما حدث قبلها.

النقطة السادسة: إبراز امتداد عاشوراء عبر التاريخ.

النقطة السابعة: ربط عاشوراء بالواقع المعاصر.

النقطة الأولى: تصحيح النظرة إلى عاشوراء

من الأمور المهمة هو التمهيد للناس لكي يستوعبوا أهمية إحياء ذكرى عاشوراء ذكرى استشهاد الإمام الحسين (ع) وتصحيح نظرتهم إليها لأن المعترضين على ثورة الإمام الحسين (ع) من حيث المبدأ يعتبرون خروجه خطئاً كبيراً فيقومون بالتبديع والتضليل للذكرى ومن يحييها محاولين تزييف وعي الناس وقلب الحقائق وتزوير التاريخ وتحريف المفاهيم الدينية مما أنتج تصورات خاطئة في أذهان الناس البسطاء لذلك يجب أولاً دحض تلك التصورات من أذهانهم بتوضيح عدة أمور منها:

- إن الذكرى تتعلق بخامس أهل الكساء (ع) وابن بنت رسول الله (ص) الذي ورد في فضله الكثير من الآيات القرآنية الكريمة كآية المباهلة والقربى والتطهير وكثير من الأحاديث النبوية الشريفة كقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً)

وهذا الأمر حجة على جميع المسلمين وبالخصوص من يؤمنون بفضل أهل البيت (ع) وإحياء عاشوراء تعبير عن الحب والارتباط وتذكير الأمة بما قام به الإمام الحسين (ع) من أجلها.

- الذي لديه وجهة نظر أخرى فالإمام الحسين (ع) في نظره صحابي جليل، وكم نسمع كلاماً كثيراً عن الصحابة - رضي الله عنهم - والدفاع عنهم والوقوف في وجه من يسبهم ويشتمهم استناداً إلى الادعاء أن هناك من يسبهم ويشتمهم، فأين الدفاع عن هذا الصحابي الجليل الذي قُتل وذُبح وسُبَّ وشُتمَ؟ أليس القتل والذبح أشد وأكبر من السب والشتم! ألا يُعتبر إحياء ذكرى استشهاده يوم عاشوراء جزء من الدفاع عنه حتى تاريخياً وفكرياً!

- ذكرى عاشوراء تتعلق بالإمام الحسين (ع) واستشهاده، والإمام الحسين شخصية إسلامية رائدة، وبذلك فعاشوراء ذكرى إسلامية وليست مذهبية ولا تخص المذهب الاثني عشري أو الزيدي أو الشيعة بشكل عام، والنظر إليها مذهبياً هو ذبحٌ للإمام الحسين من جديد، بل لقد أصبحت عاشوراء إنسانية وعالمية وتأثر بها ثوار وأحرار من غير المسلمين وتعلموا منها كغاندي محرر الهند من الاستعمار الذي قال: (علمني الحسين كيف أكون مظلوما فأنتصر).

فكيف يقف بعض المسلمين عقبة أمام طريق انتصارهم وهم مظلومون وأغلب بلدانهم تحت الاحتلال أو الوصاية الغربية.

فعاشوراء إسلامية وليست مذهبية ومن يريد أن ينظر إليها أنها مذهبية هو نفس من نظر إلى الإمام الحسين وهو يُقتل أنه لا علاقة له به إن لم يقف في وجهه بسيفه.

- ذكرى عاشوراء هي ذكرى سيد شباب أهل الجنة بقول رسول الله (ص): (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة) والطريق الذي سلكة الإمام الحسين (ع) والثورة التي قام بها والخاتمة المرضية التي نالها بالشهادة في سبيل الله كلها تؤدي إلى الجنة، إذاً عاشوراء طريق إلى الجنة وإحياء ذكراها إحياء للطريق السالك إلى الجنة طريق التضحية والجهاد والشهادة والصمود والصبر، فلا مبرر للإعراض عن أعظم درس حسيني في يوم عاشوراء يوم ليس وراءه إلا الجنة.

النقطة الثانية: نقد الأخطاء والتجاوزات التي تترافق مع إحياء عاشوراء

نقد الأخطاء والتجاوزات التي تترافق مع إحياء ذكرى عاشوراء يزيل كثيراً من سوء الفهم ويصحح النظرة التي أنتجتها تلك الأخطاء

والتجاوزات، إذ من المهم أن نُنَزّه ذكرى عاشوراء مما يشوهها ويُنفّر عنها ومما يستغله المعترضون على ثورة الإمام الحسين (ع) من حيث المبدأ، ونقيم الحجة على من لا يحييها بحجة بعض الممارسات المشوهة والأساليب المنفرة.

فتوضيح أن ذلك لا يُعبر عن الذكرى بل يسيء إليها مهم جداً ويقضي على كثير من العوائق التي تعيق فهم واهتمام الكثير من الناس.

من تلك الأخطاء والتجاوزات والممارسات والأساليب ما يُعرف بالتطبير وهو شج الرؤوس بالسيوف وجلد الظهور بالسلاسل الحديدة حتى تسيل منهم الدماء، والتي تشوه حتى صورة الإسلام في نظر غير المسلمين، وتتنافى مع أهداف الثورة الحسينية العظيمة.

كما أن من المهم التوضيح أن الذكرى ليست حكراً على الشيعة الاثنى عشرية ولا يعني إحيائها ترويج لمذهبهم وليست طريقتهم في إحياء الذكرى هي الطريقة الوحيدة، بل فيها ما هو محمود وعظيم ومنها ما هو محل نقد ورفض، ولا تعني طقوسهم الخاصة بها ومجالسهم ومراسمهم وشعاراتهم وتوظيفهم للذكرى لترويج عقائدهم باسم الإمام الحسين (ع) أن يتخذ الناس موقفاً من الذكرى نفسها ويُعرضوا عنها ويُحذّروا منها بل يحيوها بما يليق بها، لنخاطب الناس أن لا يجعلوا من الخلاف المذهبي عائقاً أمامهم عن استلهام الدروس والعبر، ولا يجعلوا بعض الأخطاء التي تترافق مع إحياء يوم عاشوراء من بعض المذاهب والطوائف عائقاً بينهم وبين الإمام الحسين (ع) بل ينزّهوه من كل ذلك، فليس بينهم وبينه أي مشكلة، فلا يُحمّلوه أخطاء من يسئ إليه فيتخذون منه أو من ذكرى استشهاده موقفاً، ولنقل لهم: انتقدوا الإساءات لكن ليس على حساب الحب للإمام الحسين (ع) وإحياء ذكرى استشهاده التي هي مدرسة للأمة والإنسانية ونحن بأمس الحاجة للتعلم من هذه المدرسة الحسينية العظيمة، انتقدوا التصرفات الخاطئة، انتقدوا الممارسات السيئة، انتقدوها لأنها ليست مشوهة لإحياء عاشوراء الحسين فحسب بل مشوهة للإسلام، فهي أمور منفرة لا يجوز أن نحسبها على مناسبة عاشوراء، ولا يجوز في نفس الوقت أن لا نتكلم عن مأساة كربلاء وثورة عاشوراء بحجة ذلك.

لقد نقد بعض الأمور المسيئة عقلاء الشيعة الاثني عشرية أنفسهم كالسيد علي الخامنئي قائد الثورة الإسلامية الإيرانية والسيد محمد حسين فضل الله والسيد كمال الحيدري وغيرهم.

النقطة الثالثة: تناول ما حدث في عاشوراء باستلهام الدروس والعبر

من الأمور الملحوظة في تناول أحداث عاشوراء التركيز الزائد على الجانب المأساوي لاستثارة العواطف واستدرار الدموع على حساب جانب استلهام الدروس الحية والوعي بأهداف الإمام الحسين(ع) التي خرج وضحى من أجلها.

فعاشوراء ليست ذكرى لنعي الإمام الحسين (ع) وإقامة مآتم العزاء عليه، وليست اختلاق معركة بين طرفين في الأمة سنة وشيعة فلم يكن الإمام الحسين (ع) يمثل الشيعة ولا يزيد يمثل السنة فالإمام الحسين يمثل الإسلام النقي الأصيل، والحق والخير والحرية والكرامة، ويزيد يمثل الاستكبار والظلم والطغيان والضلال والباطل والشر.

فليتناول الناس في عاشوراء الأسباب التي أدت إلى خروج الإمام الحسين (ع) وأدت أيضاً لقتله بتلك الطريقة الوحشية البربرية، ليتناولوا الأهداف النبيلة لثورته، ليتحدثوا عن خطورة التفريط وخطورة الحكم السيء للأمة وما ينتج عنه من انحرافها وضلالها، ليتكلموا عن وحشية الباطل وجرائمه، ليؤكدوا على خط الجهاد والشهادة.

فأحداث عاشوراء مليئة بالدروس والعبر ففيها التشخيص السليم لواقع الأمة والمعالجة والحل لهذا الواقع، وفيها التفسير الصحيح لكثير من الأحداث عبر التاريخ وحتى اليوم، وهنا تبرز أيضاً أهمية تناولها بالدراسات والبحوث لكل تفاصيلها ووقائعها ومقدماتها ونتائجها، وعقد الندوات العلمية والثقافية والفكرية لتدارسها، وعقد المؤتمرات الإسلامية - التي ليست بلون مذهبي واحد - لاستنهاض الأمة.

ومن الخطأ تناول عاشوراء بلغة الهزيمة وتيئيس الناس من النصر لأن ما حدث فيها هو نصر استراتيجي بكل المقاييس وما زالت دماء الإمام الحسين تنتصر، فليس في قاموس الحسين موت ولا هزيمة، ومازالت مظلوميته تؤرق مضاجع الظالمين والمستكبرين حتى اليوم.

النقطة الرابعة: توضيح خلفية الاعتراض على إحياء عاشوراء

لا نجانب الصواب إن قلنا أن أغلب المعترضين على عاشوراء يفهمون ماذا تعني ويعني إحياؤها أكثر من بعض من يحييها برؤية قاصرة أو بشكل سطحي وتقليدي. إنهم يعرفون أنها تعني ثورة في حد ذاتها، وتعني أن أهداف الإمام الحسين (ع) ما زالت حية وواقعية وضرورية وفطرية وتنسف معتقداتهم وتدحض أكاذيبهم وتؤصل للثورة على الظالمين والخروج على الفاسدين والعملاء.

إنهم يشعرون أن دماء الإمام الحسين (ع) تلاحقهم وتكشف كذبهم على رسول الله (ص) باختلاقهم أحاديث طاعة ولي الأمر الظالم وغيرها من الإساءات إلى الإسلام وقدسيته بالزعم أنه دين جاء لِيُروّض الناس على قبول الظالم الذي لا يهتدي بهدي رسول الله (ص) ولا يستنون بسنته و..الخ ويأمرهم بطاعة الفاسق الظالم ويُحرِّم عليهم مواجهته والثورة والخروج عليه.

فإحياء ذكرى عاشوراء تُكذِّب كل علمائهم ورواتهم وتنبش تاريخهم الأسود والدموي وتهدد الحكام الفاسدين الذين يدورون في فلكهم.

إنهم ما زالوا في حالة مواجهة مع عاشوراء فلذلك يرهبونها ويخافونها وسلاحهم في هذه المواجهة هي تلك العقائد والأحاديث المكذوبة على رسول الله (ص) التي تمثل سيف شمر بن ذي الجوشن الذي يذبحون به كل حسين يثور على مر التاريخ وحتى اليوم.

إنهم يعتقدون أيضاً خطأ الإمام الحسين (ع) بخروجه على ما يُسمونه أمير المؤمنين وخليفة المسلمين يزيد بن معاوية ويضللون الإمام الحسين كذلك بالأحاديث المكذوبة بأنه خرج على الجماعة وشق عصا الطاعة وفارق الجماعة فقُتل بسيف جده.

فلا يخرج ثائر ولا يقوم بثورة في وجه الظلم والضلال في وجه السلطات الجائرة والحكومات الفاسدة إلا ويواجهونه بتلك العقائد والأحاديث المكذوبة في طاعة ولي الأمر الظالم ويؤلبون عليه الناس كما تألبوا على الإمام الحسين (ع) وفي كثير من الأحيان تتجدد كربلاء وتكرر عاشوراء.

إن يوم عاشوراء يسحب الشرعية من الظالمين والفاسدين من الأنظمة الملكية الوراثية وغيرها من الأنظمة الظالمة والفاسدة ومن هنا تأتي الحساسية من عاشوراء وإحياء ذكراها، فلا نستغرب لماذا يقف ضدها بقوة المذهب الوهابي والتكفيريون وأنظمة الخليج على وجه الخصوص لأن عاشوراء أول ثورة في الإسلام على أول نظام ملكي وراثي رجعي ديكتاتوري بغيض والذي أنشأه معاوية ويزيد الذي تمثل الأنظمة الخليجية وغيرها امتداداً له.

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن من أسباب الاعتراض على ذكرى عاشوراء أنها تعيد ذاكرة الناس إلى بشاعة الجريمة التي ارتكبها أسلافهم بحق ابن بنت رسول الله ويرتكبونها اليوم بحق المسلمين من قطع الرؤوس وقتل الأطفال وسبي النساء والتنكيل والتعذيب والقتل بطرق وحشية لا إنسانية باسم داعش.

النقطة الخامسة: ربط عاشوراء بما حدث قبلها

من المهم جداً ربط عاشوراء بما قبلها من أحداث وبالخصوص الربط بفترة الإمام الحسن (ع) وقضية الصلح بينه وبين معاوية وذكر بنود الصلح وشرحها وكيف أن الصلح يُشكل إضافة إلى عدم شرعية يزيد كخليفة وإلى جناية معاوية بحق الأمة حين حوّل الخلافة إلى ملك عضوض وحين سَنَّ هذه السُنة السيئة وتلقفها الظالمون عبر العصور حتى استنَّ بها آل سعود ومن على شاكلتهم.

إن عدم ذكر الإمام الحسن (ع) وربط فترته وجهاده ومعاناته ومظلوميته بعاشوراء يجعل من نظرتنا إلى عاشوراء غير مكتملة. فعاشوراء أتت ضمن سياق متصل بما قبلها ولها صلة أيضاً بما بعدها

النقطة السادسة: إبراز امتداد عاشوراء عبر التاريخ

لم يَثُر الإمام الحسين (ع) ويضحي من أجل أن يجمد الناس بعد كربلاء ويعتبروها الثورة الأولى والأخيرة وينسجوا لذلك عقائد وتصورات مانعة من الثورة وحاجزة عن الخروج عن الظالم.

لم يثر ويضحي من أجل أن تبقى قضيته مجرد مأساة نبكي لأجلها وتجربة مُرَّة نُنَظّر للقعود والجمود بحجة نتائجها المؤلمة.

لم يثر ويضحي لأجل شد الرحال إلى كربلاء لزيارته مشياً على الأقدام والزحف على الصدور إلى ضريحه الطاهر.

هو لم يثُر ضد يزيد كشخص وضد دولة بني أمية كدولة في عصره وإنما ثار ضد كل يزيد يعتلي عرش الأمة وضد كل دولة ظالمة ونظام فاسد يحكم الأمة بالضلال.

ولهذا من الخطأ الفادح أن نتجاوز تضحية كربلاء وانتصار عاشوراء من بعد الإمام الحسين (ع) وكأن لا أثر لها إلا بقيام الثورة الإسلامية الإيرانية التي أيقظت كثيراً من النائمين فكرياً وثقافياً والقاعدين حركياً وثورياً.

وإنه لمن العجب أن تبقى العاطفة والدموع والحزن على الإمام الحسين (ع) والمراسم والزيارات مئات السنين ولم يتحرك أولئك الباكون ضد يزيدو عصرهم من الأمويين والعباسيين وو ...الخ.

إنه لأمر عجيب ومحزن أن يتم التغافل في ذكرى عاشوراء عن الذين مشوا على درب الحسين وفي خطه وثاروا كما ثار واستشهدوا كما استُشهد وقُتلوا بطريقة وحشية ولا إنسانية كما قُتل.

فلقد كانت عاشوراء لتكون الأولى والأخيرة لولا ثورة حفيد الحسين

حليف القران الإمام زيد (ع) الذي كان بحقٍّ حسيناً ثانياً وجعل - مستلهماً من جده- كل أرض كربلاء وكل يوم عاشوراء.
فالإمام زيد (ع) ومن ثار من بعده هم الحسينون الحقيقيون هم الكربلائيون في أصقاع الأرض هم العاشورائيون عبر الزمن، هم حلقة الوصل بيننا وبين الإمام الحسين (ع).
وبمقارنة بسيطة بين ثورتي الإمام الحسين وحفيده الإمام زيد سنجد أن كربلاء تكررت وعاشوراء تجددت.
ليدرس كل عشاق الحسين ثورة الأئمة حفيده زيد وابنه يحيى والنفس الزكية وإخوته والحسين الفخي وسلسلة كربلائية عاشورائية طويلة.

النقطة السابعة: ربط عاشوراء بالواقع المعاصر

من المهم جداً أن تكون ذكرى عاشوراء منطلقاً للقيام بالمسؤولية والاضطلاع بالواجب والاقتداء بالإمام الحسين (ع) فنسعى من أجل الأهداف التي رسمها بدمائه الزكية ونواجه من هم على شاكلة يزيد من الطغاة والبغاة والتكفيريين ونواجه أيضاً منهم أسوأ من يزيد من الصهاينة والغزاة ونقف ضد المشروع الأمريكي بقسمية الصهيوني والتكفيري. يجب أن نتلمس الذين عاشوا عاشوراء في عصرنا واقعاً ونهضوا نهضة حسينية وانتصرت دماؤهم وأن نلتفت إلى مظلوميتهم وأن نجدد العهد للحسين ولهم بمواصلة المسير.
عاشوراء بدون ربط بالواقع مجرد تاريخ دموي وقصة محزنة فانظروا إلى حسين عصرنا وكربلاء جيلنا وعاشوراء زماننا ستجدون السيد الشهيد القائد حسين بدر الدين الحوثي. ألم يخرج على الظلم وفي وجه أمريكا وإسرائيل وعملائهم وشنت السلطة الجائرة اليزيدية حربها الظالمة عليه ألم تحاصره وتمنع عنه الماء، ألم تؤلب عليه الناس وتجيّش عليه الجيوش، ألم تقاتله وأهل بيته من الأطفال والنساء معه، ألم تقتله بوحشية، ألم تخفِ جثمانه الطاهر سنين عديدة، ألم يقصف العدوان السعودي الأمريكي ضريحه الشريف بغارات الطائرات عدة مرات.
ألم يبعث أمة جهادية تعشق الشهادة دوَّخت دول العدوان وارتقت بالشعب اليمني حتى أذهل العالم بقتاله وصموده. اليمن إلى جانب فلسطين ومعهما كل المناطق المستضعفة في العالم الإسلامي هن كربلاء العصر، والحسينون هم الشهداء هم المجاهدون هم الجرحى هم الأسرى هم المفقودون، هم أسر الشهداء والجرحى والمجاهدين والأسرى والمفقودين.

والله من وراء القصد